

أ.د شريف صديق

السنة الثانية : مقياس علم الاجتماع

ملخص للجزء الأول من دروس مقياس التغير الاجتماعي .

التغير الاجتماعي (المفهوم .. الخلفية التاريخية .. أبعاد .. العلاقة ببعض المفاهيم) .

ملاحظة : إنتباه ، هذا ملخص مساعد لما تم طبعه في حصة المحاضرة لذا يجب العودة إلى ما هو في المحاضرة كتابة وشرحا عند المراجعة للإمتحان .

تمهيد :

فكرة التغير الاجتماعي ظهرت في الاهتمام والفكر الإنساني مع البدايات الأولى للوجود البشري وما إنتابه من تفاعل في أبعاده الإجتماعية ، وما عرف هذا التفاعل من تطور داخلي ، خارجي وفقا لما عرفه المجتمع البشري من توسع وتطور ، ثقافي إقتصادي ، سياسي ، وغيره من التطورات والتحولات الأخرى .

المجتمعات البشرية المعروفة في حركة حياتها أنها تتغير وتعمل على التغير إما بمحض إرادتها أو بصورة إضطرارية . الإنسان يسعى لتحسين ظروف حياته (إقتصادي ، إجتماعيا ، تنظيميا ، سياسيا...إلخ) وفي نفس الوقت تجده يتشبث بالنمط القديم من الحياة حفاظا على عادات وتقاليد أجداده ، إن هذا الإقبال والتردد أو التحفظ في الإفتتاح على ما هو جديد من نمط وأسلوب حياة ، يبين أن عملية التغير الاجتماعي تتم ضمن قوتين مختلفتين في الإتجاه ، مايجعل حركتها كظاهرة يطبعا العديد من الخصائص ، خاصة من حيث البعد الزمني الذي يقاس بعمر الأجيال .

طول فترة التحول أو التغير الاجتماعي تجعل الإستثمار في المجتمع وتحولاته تخضع لحقب تقدر بعشرات السنين ، وقد تصل إلى قرن أو يزيد ولنا في ذلك القول الذي يشرح ذلك :

"إذا أردت أن تجني في سنة فزرع قمحا وإذا أردت أن تجني في عشرة سنين فاغرس شجرا وإذا أردت أن تجني في قرن فاغرس أفكار أو ربي جيلا" .

الخلفية التاريخية لفكرة التغيير الاجتماعي :

مصالح البشر متنوعة متطورة غير محدودة ، مصالح تجعل المحتاج يعمل على التحول بما يمكنه من كسب وسائل الحياة والانتقال إلى وضع أحسن .المكتفي القوي والغني يسعى للتحول والتوسع والنمو بشيء من الحذر، الحذر الذي يجعله يعيش نوعا من التخوف ، مخافة من فقدان ما هو متاح من وسائل السيطرة والحكم والمكانة .

في حياة البشرية عادة ، الأجيال الجديدة تعيش حالة من التمرد ، أما الأجيال السابقة لها تعيش حالة من التحفظ . إن صور التغيير الاجتماعي من حيث الرفض والقبول أو الإقبال نلمس بعض مشاهدتها فيما عاشه الأنبياء مع أقوامهم ، إذ نجد البعض ملتف حول النبي المرسل مدافعين عن المشروع العقائدي الجديد الداعي إلى التغيير ، والبعض الآخر نجده رافضا خائفا مترددا متمسكا بالنظام القديم ، عقيدة ، إقتصادا ونظام حكم ...إلى غير ذلك من الأبعاد الأخر التي تنبأ بالتخوف من التغيير الذي قد يحدث في غير الإتجاه المرغوب وغير الإتجاه الذي يخدم الطبقة المسيطرة على الوضع .

الرسالات النبوية وإصطدامها بالأوضاع القائمة ، يرمز لتجذر ظاهرة التغيير الاجتماعي في التاريخ ، نلمس بعض أبعادها مع النبي موسى عليه السلام وفرعون الراض للرسالة التي تريد إبطال تأله وإستبداده وسيطرته على رقاب قومه "لا أرىكم إلا ما أرى "

التغيير الاجتماعي خصه العديد من الفلاسفة الأوائل بالتحليل أو العمل على إحداثه وفقا لما يخدم طبقتهم ومصالحهم ، بما يدعم مكانتهم الاجتماعية التي يطمحون إليها ، مثال على ذلك تصور أفلاطون لدولته المثالية التي يكون على رأسها الفلاسفة .

من الأوائل الذين تحدثوا عن التغيير الاجتماعي في الفلسفة اليونانية (هيراقليطس ، 540، 475 قبل الميلاد) والذي صور الأمر في كلامه بأن الإنسان لا يستطيع أن يضع قدميه في نفس الماء لنهر جار مرتين ، لأن الماء بين الخطوة الأولى والأخرى يكون قد تغير ، مايفيد أن التغيير أمر محوري أساسي في الوجود الكوني وسننه الربانية ، إنها ظاهرة ربانية خاضعة للحركة والزمن ، الزمن الذي لايمكن أن ينفلت مخلوق من أثره .

مفهوم التغيير الاجتماعي :

إن الإحاطة بمفهوم التغيير الاجتماعي يجعلنا نذهب في اتجاهات تحليلية مستعملين مفعول الزمن في الكائنات والاجتماعية منها على وجه الخصوص ، ومنه التطرق إلى خصائص المجتمع ، وما يميزه فيما يجعل حركة التغيير الاجتماعي يصعب مراقبتها ، بناء تحليلنا على هذا النحو يجعلنا نلمس التعاريف المتعددة التي صيغت للتغيير الاجتماعي .

الملاحظ في السنن الكونية أو القوانين الطبيعية ، يجد أن عنصر الزمن ، عنصر فاعل وأساسي في تحديد عمر الأشياء ومدة صلاحيتها ، الحديد يصدأ ويتلاشى ، الصبي يشيب ويشيخ ، النظام الاجتماعي يفقد صلاحيته مع تمرد الأجيال الجديدة وهكذا ، الكل يقاوم وتتهار قواه مع الزمن الذي يحتوي عمر الأشياء والكائنات والنظم .

حاجات الإنسان متنوعة متطورة في طرق تحصيلها ، طرق متطورة في النظم التي تصنعها رؤى وعلاقات ، تعاون .. تنافس .. صراع وغيرها من العمليات والظواهر الأخرى ، طرق أنظمة حياة تتطور بتطور الفكر الإنساني ووسائل تحصيل حاجات الإنسان المختلفة في بعدها المادي والمعنوي .

حاجات تتنوع وطرق تحصيل تتغير وتتبدل مع الوقت ومع إختلاف ثقافات الأجيال والأمم ، ثقافة حياة تتغير وتغير معها نظم وأنساق المجتمع (أسرة ممتدة ، أسرة نووية) مجتمع عمالي (من الطوائف المهنية إلى المؤسسة الحديثة بتعقيدها التنظيمية ، نقابات ، لجان خدمات إجتماعية ، إدارة بتفرعاتها .. الخ) . الكل في تحول ، تحول يصعب ملاحظته في كثير من الأحيان والأبعاد ، تغير يبين أن المجتمع يتحرك في زمن لا يحسب إلا بحياة الأجيال ، تغير يشير أن المجتمع تحكمه ميزات تجعل حركته أبطأ من حركة الزمن الذي يعيشه الفرد ، فالمجتمع هو ذلك الكائن الذي يحكمه :

أ-التلكؤ في حركته .

ب-جسامة حجمه .

ج-تشعب جماعته .

د-تنوع مراكز قواه .

هـ-تجذر أنساقه في الثقافة الاجتماعية .

و-تعدد وتنوع إحتكاكاته مع المجتمعات الأخرى.

الملاحظ في المميزات التي طبعت المجتمع ، تعقيدا وحركة ، تبين مدى صعوبة دراسة التغيير الذي يعرفه هذا الأخير أي المجتمع ، كونها ظاهرة في غالب الأحيان تجري خارج عمر الملاحظ لها ، وما يلمس منها في غالب الأحيان إلا بعض المؤشرات التي قد يكون الكثير منها مغالط لما يختزنه المجتمع في قيمه وعلاقاته ونظمه من تحولات مستقبلية .

تعريف التغيير الاجتماعي :

تعريف التغيير الاجتماعي في عمومه جاء بصياغات مختلفة مهتما ، بالأبنية والهيكل وما تعرفه من تحولات عبر الزمن ، منها ما جاء معرفا للتحول في الوظائف ، ومنها ما جاء مهتما بالتحولات والتبدلات التي تمس الظواهر الاجتماعية .

التعاريف وإن أخذت صياغات مختلفة ، إلا أن في مجموعها الكل مكمل لبعضه البعض ، الكل يشرح معنى الآخر ويكمله ، لذا في تعريفنا للتغيير الاجتماعي نحاول الأخذ بأكثر من تعريف للإحاطة بجملة الأبعاد والتعمق في محتوى الظاهرة أكثر ، في هذا الصدد لنا بعض التعاريف التالية:

تعريف جنزبرج Ginsberg:

حدد التغيير في البناء الاجتماعي كالتغيير في حجم المجتمع وتركيبه ونمط التوازن بين أجزائه أو نمط تنظيماته . ومن أمثلة هذا النوع من التغيير تضاول حجم الأسرة وتحلل الاقتصاد المعيشي على أثر ظهور المدن ، والتحول من الطوائف المهنية إلى الطبقات .

تعريف ولبرت مور W.Moore :

يشير هذا التعريف إلى التغيير والتبدل الجوهرية في الأبنية الاجتماعية أي في أنماط الفعل الاجتماعي بما في ذلك النتائج المرتبطة بهذا التبدل كما تنعكس في التغييرات التي تطرأ على قيم والمعايير والمنتجات الثقافية والرموز .

تعريف نسبت R.Nisbet

يعرف التغيير الاجتماعي بمعناه الواسع بأنه مجموعة متتابعة (أو متواليه) من التبدلات (الإختلافات) التي تحدث عبر الوقت داخل كيان مستمر في الوجود .

- للإطلاع أكثر يجب العودة إلى ما كتب وشرح في المحاضرة بشأن تعريف التغيير الاجتماعي ، أين تم إدراج تعاريف أخرى بأكثر توسع .

أبعاد التغيير الاجتماعي :

التغيير سواء كان مخططا أو عفويا ، كان كيميا أو نوعيا ، يمكن دراسته من خلال الأبعاد والمكونات الستة :

-نوع التغيير :

يشير نوع التغيير إلى الظواهر التي تتعرض للتغيير كالسلوكات والممارسات والإتجاهات ومظاهر التفاعل الاجتماعي وأبنية السلطة وأنساق التدرج الاجتماعي وغيرها من مكونات البناء الاجتماعي.

-مستوى التغيير :

يشير إلى الموضع الذي يحدث فيه التغيير . وتندرج مستويات التغيير من الفرد إلى الجماعة إلى تنظيمات المجتمع ككل.

زمن التغيير :

يشير إلى المدى الزمني الذي يحدث فيه التغيير ، تغير قصير المدى ، متوسط ، وبعيد المدى.

وجهة التغيير:

تشير إلى المسلك الذي يسير فيه التغيير حيث يمكن أن يسير التغيير في مسلك تقدمي إلى الأمام أو يسير في مسلك تفهيري إلى الخلف. كما قد يكون التغيير تطوريا أو دائريا ، كما قد يكون متقطع .

حجم التغيير:

يشير إلى مقدار التغيير . التغيير قد يظهر في شكل زيادة بسيطة أو إضافة طفيفة لعناصر جديدة . كما قد تغيرا هامشيا ، وقد يكون تغيرا شاملا أو ثوريا.

-معدل التغيير :

يشير إلى درجة السرعة ، التغيير قد يكون سريعا أو بطيئا ، وقد يكون مستمرا أو متقطعا وقد يكون منظما أو فوضويا.

مجموع العناصر الستة المميزة لعملية التغيير ، تعد مؤشرات يمكن من خلالها مراقبة حركة المجتمع ودرجة تغيره ، سواءا من حيث المقارنة بين مجموع مراحل حياته أو من حيث مقارنة حركته بحركة المجتمعات التي تتقاطع معه في نفس الظروف التاريخية .

